أزمة التغيير الحضاري في المجتمعات الاسلامية

د.الصديق خليفة الكيلاني•

المقدمة

أن الحوار الحضاري المطلوب في العصر الحديث يمكن أن يقبل كل الثقافات المتساوية، أن تشارك في الاهداف المشتركة وان تتقاسم القانون نفسه على أساس من العقل والحق في المعرفة والطبيعية، وحق الانسان والشعوب في الحرية والعدالة الاجتماعية، والحضارة موضوع الانغلاق والانفتاح الثقافي موضوعا من الموضوعات الهامة في المجتمعات المعاصرة، وخاصة المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة برغم محاذيره المتعددة, فهذه المجتمعات تعيش في ظل حراك بين من يريدون العودة بها الى ما قبل 1400عام, وبين من يحاولون الجمع بين الماضي بثوابته والحاضر بمتغيراته ويتوجهون للمستقبل بخطى ثابتة, ان المجتمعات العربية والإسلامية تعيش حالة من الميوعة الثقافية, بسبب الهجمة الشرسة عليها من الخارج, والخلخلة الثقافية لأبنائها في الداخل, فهم يعيشون في حالة من عدم اليقين لثقافتهم, ويحتاجون الى من يرسخ فيهم الثوابت والقيم النبيلة, ويدفعهم للاستفادة من التطور المعرفي حولهم, فعالم اليوم مفتوح للجميع عبر شبكة من وسائل الاتصال التي لا يمكن الانغلاق امامها, ولكن بالجهد والتحصين يمكن الاستفادة منها واتقاء شرورها .

أولاَ: أهمية الدراسة: تتمحور الاهمية في الاتي :

- **الاهمية العلمية:** حيث يكتسب الموضوع اهميته من الجدل الدائر بين الفئات المثقفة حول اعطاء الافضلية للانغلاق ام الانفتاح الثقافي, وكيف يكون ذلك في عالم مفتوح على مصراعيه للجميع ؟.
- **الاهمية العملية:** وهي معرفة الكيفية التي تواجه ثقافة الانغلاق والانفتاح في المجتمعات العربية والاسلامية من خلال تناول الباحث لهذه الدراسة، واية أيديولوجيات غربية مؤثرة لذلك .

• قسم العلوم السياسية – كلية الاقتصاد جامعة الزاوية

ثانياً: أهداف الدراسة:

تنبثق هذه الدراسة في التركيز على الاتي :

– تحديد السبل الكفيلة للحفاظ على الثوابت الثقافية العربية الاسلامية التي ترسخت مع الزمن داخل المجتمعين .

– التعرف على تطوير هذه الثقافة بما يسمح بالاستفادة من التطور المعرفي والتلاقح الثقافي في ظل السيولة الثقافية والمعرفية، وإن كانت في اتجاه واحد تقريبا من العالم الغربي الى غيره، ومن المجتمع المسيحي الى باقي المجتمعات, ولكن هذا لا يمنع الاستفادة من الايجابيات, وضع لمواجهة السلبيات.

ثالثاَ: إشكالية الدراسة:

تتلخص الاشكالية في السؤال الجوهري الذي يتضمن ما هي الوسائل المتاحة للانغلاق والانفتاح في عالم اليوم؟ وماهي فرص نجاح نظرية الانغلاق ؟ ولماذا يقاوم الانفتاح ؟ أليس من الممكن ان يحمل مزايا ؟.

رابعاَ: فرضيات الدراسة:

تتمثل في الاجابة على إشكالية الدراسة والاسئلة الفرعية التي اعتمده الباحث.

خامساً: منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على استخدام بعض المناهج وتتمثل في الاتي:

– المنهج التاريخي ومن خلاله يستلزم استقراء المعلومات والحقائق التاريخية التي تساعد الباحث على فهم هذه الظاهرة ولما له من دور مؤثر داخل المجتمعات المسلمة.

– اما استخدام المنهج الوصفي يبين كيفية وصف وتسجيل وتحليل الظروف المختلفة التي تحيط بموضوع الانغلاق والانفتاح الثقافي في المجتمعات العربية والاسلامية.

–والمنهج المقارن يعطي المقارنة بين ثقافة الانغلاق والانفتاح اسلامياً وغير إسلاميا كلنا بظروفه.

المبحث الاول: المجتمع والتراكم المعرفي (الهوية الثقافية)

أهمية الثقافة:-

الثقافة عصب التطور لأي مجتمع ومفتاح تقدمه ونهوضه، فالثقافة صانعة للحياة ومانحة للتجدد وعاكسة لوعي الإنسان وإدراكه، ومهما تعرض المجتمع للنكسات والانكسارات والتراجعات، فإن الثقافة في تدرجاتها المفاهيمية الحية وعبر منظوماتها المعرفية كفيلة بتحقيق النهوض لأي مجتمع من ركام الهزائم، وهذا الأمر رأيناه يتجلى بوضوح في التجربة اليابانية، حينما منيت اليابان بهزيمة كارثية في الحرب العالمية الثانية، حيث تدمر كل شيء فيها تقريباً، وخرج منها اليابانيون منكسرين ومتوجعين، ولكن سرعان ما وضعت اليابان أقدامها في مدراج الصناعة والتطور، عندما تيقنت أن محاولة النهوض من ركام الخراب تمثلت في الثقافة التي يجب أن تنتهجها كحالة مجتمعية عامة دافعة وصانعة ومسؤولة، تلك الثقافة التي يصنعها العقل ويُقُولبها في منظومات معرفية ترتكز على مفاهيم عدة تتمثل في مواجهة الواقع وليس الهروب منه إلى الماضي أو إلى الأوهام، وضرورة الانفتاح وعدم التقوقع والانغلاق، وتحدي الظروف والإيمان ذاتياً بثقافة التحدي، والذهاب إلى المستقبل وليس انتظار ما سيجيء به، أو استقباله منزوعي الإرادة والتصميم والفكر، وبذلك استطاع اليابانيون من خلال ثقافتهم الحية النابضة، والتي تحولت إلى منظومة مفاهمية تجذرت عميقاً في بنيتهم الذهنية والعقلية، أن يذهبوا بعيداً في صناعة الحياة الباهرة، ونفس الأمر أيضاً انطبق على ألمانيا بعد خروجها محطمة ومشتتة ومهزومة من الحرب العالمية الثانية، ولكنها وجدت طريقها إلى الازدهار والتقدم من خلال تبنيها ثقافة التحدي والتصميم والمواجهة والانفتاح .

يدرك الدارس للمجتمعات الانسانية وتراكمها الثقافي ان هناك نوعان من المجتمعات، مجتمع منغلق يتوجس دائماً من الجديد والغريب والمغاير، ومجتمع منفتح يؤمن بالتغيير والتجديد وبالتجاذب التفاعلي مع الجديد والمغاير والمختلف، وما يظهره أيّ مجتمع من أنماط سلوكية واجتماعية ومشاهد حياتية وعقلية جماعية، هو نتيجة لتحكم مجموعة من العوامل الثقافية والدينية والتاريخية والبيئية فيه، وتقوده هذه العوامل إما الى الانفتاح او الانغلاق، ومن الطبيعي أن نجد بعض المجتمعات تخرج من ظلام الانغلاق إلى رحاب الانفتاح في عملية تواصل وتلاقح ثقافي مدروس بعناية، ويحدث ذلك عادةً نظراً لتغير وتحول المفاهيم والعوامل الثقافية والفكرية بمرور الزمن والتي تموج في تعرجات مناخاتها الاجتماعية والتربوية(السعدون، 2002، ص78).

المطلب الأول: الخصوصية الثقافية:

يتميز كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية بخصوصيته الثقافية واطاره في التميّز والدور والأثر على مسرح التاريخ، فالخصوصية هنا تعبير عن ذات المجتمع وماهية الأُمّة في طبيعة عناصرها ومقوماتها، وهي حصيلة وجودها وفعلها التاريخي سلباً أو إيجابا، فالمجتمعات المختلفة راكمت عبر التاريخ عادات واعراف وانماط من السلوك شكلت هويتها الخاصة, من هنا تُشكّل الخصوصية الثقافية أحد أهم ميزات المجتمعات وبالذات المجتمعات العريقة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ الانساني .

يعتبر منهج الشطب والإلغاء للخصوصية والإرث والحالة الثقافية منهج خاطئ ليس فقط في نظرته العلمية والموضوعية بل في وعيه للتاريخ والواقع, إنَّ الخصوصية بكل أنساقها الذاتية جزء لا يتجزأ عن الذّات المجتمعية في صيرورتها وتحولاتها المتتالية عبر تاريخها الطويل، من هنا فأي مشروع ثقافي يعمل بالضد من هذه الخصوصية سيؤدي إلى نفور المجتمع منه، ويقود إلى المقاومة الفعلية لا محالة(العادلي، 2005)

تُعيش الثقافة حالة من السيلان في تراكمها، إلاّ أنها وبعد تشكّل خصوصيتها الذاتية التاريخية فإنها تحرص على ذاتها بكل قوة, فترفض وتُقاوم أي انتزاعٍ لعناصرها الذاتية الأصيلة خاصة في أجواء الفرض، وعليه لا تزيد محاولات الفرض لنسق ثقافي معين على أي واقع ثقافي عريق إلا اصراراً وتحدياً على المقاومة .

ينبغي على المثقفين إدراك استحقاقات التميز الثقافي الذي هو حصيلة تراكم تاريخي جبّار وعميق ومتنوع، والعمل وفق فروض هذه الاستحقاقات بنفس القوة الدافعة إلى التحديث والتوافق مع استحقاقات الحداثة وانتاج الثقافات الإنسانية الأخرى، والتخلي كلياً عن العقلية مسلوبة الارادة والتي تقول: بأنَّ ثقافتنا سيئة وثقافة الآخرين حسنة، **فهذه المقولات** في الوقت الذى تُعبّر عن جهلٍ أو انبهار أو استلاب وتغريب، فإنها تُعبّر في نفس الوقت عن زيفٍ معرفي وموضوعي يُراد له التأسيس والتطور على أرض الواقع، وتُدلل عن نَفَسٍ ضعيفة مُعبّاة مسبقا ومنحازة لا تجود بغير الاضطراب والاصطدام مع الذات أولاً والآخر ثانياً (كرم، 2007) .

مما سبق نجد أنَّ أكثر الناس عداء للتعايش الثقافي بين الثقافات العالمية المختلفة والمتنوعة هم دعاة الاستلاب أو رواد الهيمنة، فكلاهما يؤسسان لصراع الثقافات من خلال تخطي وازدراء الخصوصيات الثقافية للشعوب والأُمم .

الفرع الأول: القيم الدينية والإنسانية:

تتحد القيم المعيارية الدينية والإنسانية في جوهرها من حيث تطابقها في المنطلق والغاية فثبات هذه القيم المرجعية استناداً إلى معياريتها لا يُعتبر تكلّفاً وإرهاقاً للحالة الثقافية، فلا وجود لقيمة دينية لا تمتلك ترجيحاً عقلياً، والعكس صحيح، وعليه فإننا لا نمتلك مشكلة حقيقية على صعيد وحدة المعيار الديني والعقلي لأي حالة ثقافية قائمة أو مؤمّلة .

يمثل تلاقي وتناغم جوهر القيم الدينية وجوهر القيم الإنسانية في إدراكهما للحُسن والمنفعة، والغاية النبيلة لبناء الإنسانِ في مجتمعٍ فاضل ورشيد ومتقدم، هو جوهر أي مشروع ثقافي يُراد من خلاله بناء تجاربنا الإنسانية والوطنية كبُنى تحتية, تهب القدرة على صُنع بدائل صالحة ومتطورة في حركة الحياة (هوفمان، 2001، ص112) .

الفرع الثاني: المشروع الثقافي:

جوهر المشروع الثقافي لأي مجتمع هو ما يجب أن يكون، وما يجب أن يكون, يعني ما يجب أن يكون عليه الإنسان والمجتمع والدولة .

وعليه لابد للمشروع الثقافي القادم أن يعي شروط الواقع وإمكانات النهضة وأدوات التغيير ومقومات الهوية, وعناصر القيم المرجعية, وطبيعة الواقع المحتضن للمشروع الثقافي, وشدة الوعي للحداثة ونتائجها الإيجابية ،واثاره السلبية وإلاّ سيهزمه الواقع ذاته، فأي جفاء أو خصومة أو محاربة للعناصر الأصيلة للواقع، وأي تخلف في وعي الحداثة سيُدخل الواقع والمشروع في نزاع استئصال متبادل، وهذا ما يقضي على أي مشروع ثقافي نهضوي.

وعي الإنسان بالانتماء إلى أي مشروع ثقافي لا يتم إلاّ بالهوية الثقافية الجامعة لعناصر الأصالة والحداثة والمُنهمكة بالواقع الفعلي المتحرك انفعالاً وتفعيلاً، ضمن وعي للذات وإدراك للواقع وقدرة على التفاعل والتأثير والتأثّر والتبادل والتناغم، وهذا ما يُنتج الحضارة التي هي تعبير ونتاج عن الفعل التاريخي والمنغمس بالواقع وعياً وتوظيفاً, وانه لإمكانية لتحرير المشروع الثقافي أياً كان من الهوية الثقافية للمجتمع وبالذات في عناصره الثابتة المتصلة بقيمه المعيارية، إنَّ إنتاج أي مشروع ثقافي حداثي ونهضوي حقيقي، لابد وأن يعتمد قيمنا وإمكاناتنا وقدراتنا الذاتية المنفتحة على العصر والواعية والموظِفة لعطاءات الثقافات الإنسانية الأخرى(شنبارو، 2010).

الفرع الثالث: صراع الثقافات:

يتأتى صراع الثقافات في أغلبه من ذهنية وخلفية الفرض الثقافي لثقافة ضد أُخرى بما لا يحترم الخصوصيات الثقافية لأي مجتمع، فالصراع الثقافي هو تعبير جلي عن عقلية الإقصاء والنفي والإلغاء للآخر الثقافي سواء داخل الوطن في تنوعاته الثقافية القائمة على الأُسس الدينية والطائفية والعِرقية والمنطقية، أو في إطار الصراع الثقافي بين الأُمم الإنسانية المتنوعة .

تكمن فلسفة الصراع الثقافي في الجهل بفلسفة التنوع القائم على الاختلاف الذاتي بين ما هو فكري أو عِرقي أو ذوقي بين الأفراد والجماعات والأُمم، باعتبار أنَّ الاختلاف هو الذي يُنتج الحركة الإنسانية على تنوعها، لأنَّ التشابه والتماثل يقضي على حركية الحياة ونموها وتقدمها، من هنا فالجهل بضرورة هذا الاختلاف يُغري بوهم التفرد لثقافة قومية أو ايديولوجية أو حضارية معينة على حساب ثقافة أُخرى مما يُنتج الصراع بينهما، وأيضاً فإنَّ الفشل في قبول هذا الاختلاف عملياً بما يحفظ للآخر كينونته وخصوصيته سيقضي على إمكانية التعايش ويقود إلى التصادم، كذلك فإنَّ الفشل في إيجاد لغة مشتركة تُتيح التفهم والتفاهم المتبادل سيؤدي إلى الانغلاق ثم الجهل بالآخر فالتنافر فالصراع بينهما، والانقطاع عن تحري فرص التعاون المثمر سيُقلل من فرص التناغم الحضاري بين الكيانات الثقافية المتنوعة مما يقود إلى العزلة فالتصادم، يجب ألاّ ننسى أيضاً حمّى الأطماع وهستيريا الغرور في تأجيج صراع الثقافات، فامتلاك وسائل القوة غير المنضبطة بالوعي والقيم والاخلاقيات تقود لا محالة إلى الفرض أو المسخ أو الاستئصال الثقافي المتبادل، فينشأ الصراع الثقافي والحضاري, كنتيجة لمحاولات تجاوز حق الآخر في خصوصياته الثقافية والحضارية (الحسن، 1990، ص27) .

تعتبر تغذية فلسفات العُزلة الثقافية المنكفية عن العالم، أو الداعية إلى التفوق جرّاء ازدرائها للآخر الثقافي، أو القاضية بوجوب الهمينة على الآخر الحضاري بما ينفي حقه في الخصوصية والذاتية الثقافية، هي من أهم عوامل صراع الثقافات والحضارات بين الأُمم الإنسانية، لذا فالإنسانية في تطبيقات حرب الثقافات واقعة في الحقيقة بين سندان الانغلاق الثقافي الطارد لأي محاولة للتعايش الإيجابي بين الثقافات، وبين مطرقة الفرض والهيمنة الثقافية الداعية لاستئصال الخصوصيات الثقافية للأمم الأُخرى، والخاسر هي الإنسانية في بناء تعايشها وتناغمها وتعاونها المتبادل نحو السلام والأمن والتقدم الإنساني المشترك .

المبحث الثاني: الانفتاح الثقافي – تكامل الثقافات

يؤسس التكامل الثقافي الحقيقي على احترام الخصوصيات الثقافية الذاتية للمجموعات والأُمم الإنسانية المتنوعة، إذ لا يمكنه أن يعمل في ظل قواعد التبعية أو الاستلاب أو الهيمنة اللاغية أو المحتقرة للآخر، فهو ينتج بفعل عوامل الاعتراف بالآخر والاحترام لحقه في الاختيار والحياة، لاسيما وأنَّ الخصوصية الثقافية هي تعبير عن الكينونة الحضارية المُشكّلة لوجود الجماعات والأُمم، وهنا لا سبيل أمام هذا التنوع الثقافي للجماعات والأُمم, سوى الصراع أو التكامل، والأول سيُدخل الإنسانية في إطار علاقاتها الداخلية والخارجية في مسلسل التصادم والتحارب، والثاني سيقود البشرية إلى التناغم الإيجابي ويُعمّق أنسجة السلام والتعاون لبناء الحياة الصالحة ذات النفع العام والمشترك، وهذا ما يمكننا من فهم سر التعارض الإنساني (القديم – الجديد) الذي أنتج كل هذا التطاحن البشري المُترجَم كنزاعات دائمة وحروب مستديمة .

فقد ارتكز في عمقه على فلسفة الصراع بدل فلسفة التكامل، وبالذات للحلقات الأضعف في مضمار القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية، فلا تلبث الثقافات المدعومة بآليات القوة من ترجمة نزاعاتها الاقصائية على شكل تدمير للذوات الثقافية والحضارية الأضعف، لتُجسد في سلوكها منطق ثقافة القوة لا منطق قوة الثقافة(الحارثي،2001).

ويري أي حلم أو أمل فعليا في سيادة صيغ التعاون والتناغم والتآلف والتعايش الإنساني لا يمكن ان تتحقق فعليا دون اعتماد قيم وبرامج التكامل الثقافي والحضاري بين الشعوب والأُمم على أساس احترام الآخر وخصوصياته وخياراته في الحياة، وهذه القاعدة هي المُنتجة للتلاقح الثقافي بما توفره من فرص التماس والتعايش، وهي الممهدة للتأثير الحضاري المتبادل على أساس الاحتكاك الدائم بين الموجودات الحضارية، وهي الصانعة للتحدي الحضاري السلمي عن طريق تحفيز الثقافات والحضارات لنيل ناصية التقدم بما تخلقه من مناخ استجابة لتحديات السباق الحضاري، وهي أيضاً المستدعية لأنظمة الأمن والسلام والتقدم البشري العام والشامل المُنتَج على أرضية الانفتاح الثقافي الدائم والمشترك، وعادةً ما تستجيب المجتمعات لضرورات التغيير والانفتاح والتجديد، حينما تستشعر أهمية كل ذلك لمواكبة تطور الحياة في حركتها التصاعدية ولتفهم احتياجات المجتمع الثقافية والاجتماعية الواقعية .

وتستجيب المجتمعات لضرورات التغيير والانفتاح والتجديد، حينما تستشعر أهمية كل ذلك لمواكبة تطور الحياة العصرية في حركتها التصاعدية ولتفهم احتياجات المجتمع الثقافية والاجتماعية

الواقعية، ولذلك فإن التجدد والتجديد والتغيير والانعتاق من أسر القيود المجتمعية والدينية، صفات ملازمة للمجتمعات الإنفتاحية المقبلة على الحياة بروح تفاعلية خلاقة، وبعقلية واقعية مدركة لضرورة الانفتاح على ثقافة التعددية وثقافة الحياة الحديثة, إن المجتمعات المنفتحة والانفتاحية تسعى لتأسيس فكر الانتماء الاجتماعي للفرد وفقاً لمعطيات الحداثة السياسية والثقافية التي تحقق للمجتمع سبل الرخاء والتعايش والتقدم، ووفقاً لاجتراح طرائق التفاعل الحيوي مع الحياة المدنية المعاصرة، والتي هي في النهاية تعكس تطور المفاهيم البشرية في تعايشها العقلاني والواقعي مع الحياة انطلاقاً من عقلية التغيير والتجدد، ولذلك عادةً ما نجد أن الفرد في المجتمعات الانفتاحية يؤمن بحقه الإنساني كاملاً في الاختيار الحر، وفي اتخاذ القرار المناسب له بحرية مطلقة.

ونجده مؤمناً بالثقافة التعددية ومؤمناً بحقوق الإنسان المدنية والدينية، ومؤمناً بالحريات وحرية الرأي والتعبير سبيلاً للمحافظة على مكتسباته الديموقراطية، ومؤمناً أيضاً بذاته المستقلة وخصوصيته وذاتيته، وحينما تغادر المجتمعات كهوف الظلام وتتمرد على قيود الانغلاق والتزمت وتتسلخ من معوقاتها التراثية بعد جهود إنسانية ثقافية جبارة وبعد مجهودات فكرية وفلسفية ، من المستحيل أن تراودها فكرة الارتداد للحياة الانغلاقية والفكر المتزمت، بل تسعى حثيثاً بكل ما تملك للمحافظة على مكتسباتها التقدمية التي حققتها وسعت لتثبيتها في حياتها المعاصرة، كما حدث تماماً مع المجتمعات الأوروبية التي غادرت عصور الظلام والتزمت

ومن الاستحالة بمكان أن تفرط بما وصلت إليه، وتعود مجدداً لعصور الانغلاق والتحجر لأن ثمة ثقافة مجتمعية حية وعصرية ونابضة بالتدفق التفاعلي والخلاق ومبنية على فلسفة الانفتاح والتجديد تدفعها بتصميم واعٍ للتمسك بمكتسباتها المذهلة في حقول الفكر والفلسفة والأدب والفن .

المطلب الاول: التأصيل الديني للانفتاح الثقافي:

منظومات الفكر الديني لا تعترف بشيء اسمه الانغلاق الثقافي عن الآخر، ليس لأنه يقضي على إمكانية الإمتداد والانتشار والتأثير في الحركة الإنسانية فقط بل لأنَّ ذات منظومات الفكر الديني في قواعدها الأساسية لا ترى للانغلاق من شرعية فكرية.

إنَّ الأساس النظري الذي يطرحه الدّين لنفي الانغلاق وتأكيد الانفتاح الثقافي، يقوم على أساس قاعدة (التعارف) التي تُعتبر من أهم قواعد القيم الدينية في تنظيم صيغ التعاون الإنساني في جوانب معرفة الآخر وتأسيس قواعد الحوار والتعاون معه.

ولعل ما جاء في الآية المباركة {يا أيّها النَّاس إنّا خَلَقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلنَاكُم شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقَاكُم إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبير} الحُجُرات/13، إذ تؤكد هذه الآية على جملة من الحقائق التي تقود بالطبع إلى حتمية التعارف كقاعدة تسندها أنشطة الجماعات والأُمم الإنسانية المتنوعة بما تنتظم بها ومن خلالها صيغ علاقاتهم، ومن جملة هذه الحقائق(العادلي، 2005، ص35).

أولاً: إنَّ البشرية بأجمعها تنحدر من مصدر واحد في الخلقة وهو الله تعالى، وفي التناسل والتكاثر وهو الذكر والأُنثى (آدم وحواء)، وهذا يؤكد وحدة النشوء، ويلغي التراتيب الزائفه التي تضعها الإنسانية فيما بينها، ودليل ذلك اللغة التي استخدمتها الآية المباركة إذ أُفتتحت بخطاب عام للنّاس دون أي فوارق أو تمايزات ذاتية أو خارجية مُكتسبة لاحقاً (يا أُيّها النّاس)، لتؤكد وحدة الخلق (إنّا خَلقنَاكُم)، ولتؤكد وحدة الانسانية في التكاثر (من ذَكَرٍ وأُنثى)

ثانياً: تؤكد الآية المباركة أنَّ التنوع الإنساني القائم على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خَلقية غير زائفة أو مصطنعة، (وجَعلنَاكُم شُعُوباً وقَبَائِلَ) وهو يؤدي بالضرورة إلى التنوع الإنساني على أساس النّسب والتكوين والتشكّل عبر التاريخ.

ثالثاً: التنوع الخلقي (شُعُوباً وقَبَائِل) يقوم على أساس قاعدة كونية كُبرى تعتبر الإنسان جزءاً من منظوماتها الوجودية، وهي: أنَّ الكون لا يمكنه الحركة والفاعلية إلاّ وفق قواعد وآليات التنوع، فالتشابه يقضي على إمكانية نشوء الحركة والتدافع الكوني والوجودي المطلوب لنشوء الحياة، فهل يمكن أن نتصور نشوء حياة ما مع تشابهنا التكويني وتماثلنا المضموني؟ وهل يمكن تصور حركية كونية مع التماثل الكوني في النوع ؟ أبداً، فذلك سيقود إلى استحالة إبداع أو إنشاء أي حركة كونية وتجربة إنسانية، من هنا لزم التنوع القائم على التفاوت.

رابعاً: التعارف كأساس تلتقي عليه وحوله الذوات الفردية والأُممية لتوجيه هذا التنوع الضروري كي يكون رحمة لا نقمة، من خلال إنتاجه لقواعد التلاقي والتناغم والاشتراك في مركب الحياة لإنتاج أدوارها وتجاربها الإنسانية.

تستند الأداة والآلية الموضوعية لانفتاح الشعوب والأُمم الإنسانية المتنوعة على بعضها بعضا على قاعدة التعارف (لِتَعَارَفُوا) كأساس تنفتح من خلاله أبواب التلاقي والتناغم والتعاون لإقامة تجارب الخير والعدل والفضيلة بين الجماعات الإنسانية، فالتعارف وفق هذه الرؤية إنما هو حقيقة موضوعية تنتج عن التنوع ، فلولا التنوع لانتفى التعارف، فلا قيمة له إلاّ مع هذا التكوين

الذي ميّزنا إلى شعوبٍ وقبائل وأُمم ، فيكون التعارف هو الإطار التبادلي في المعرفة والتأثير والاستفادة ضمن تدافعية هادفة ونامية ومُنتجة .

خامساً: إنَّ الشرف والمنزلة الواهبة للكرامة الحقيقية في ساحة الوجود تتأتى من خلال تجسيد القيم والفضائل على صعيد الذات والمحيط الإنساني بغض النظر عن أُطر الإنسانية من شعب وقبيلة وأُمّة، والتقوى (إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقَاكُم) هي العنوان الجامع لكل المبادئ والقيم والفضائل والأخلاقيات الصالحة والسليمة، وعليه فدرجة وميزة التقوى لا تُنال بتحكيم الأُطر الضيّقة أو القيم الهابطة التي يعتمدها البعض من لونٍ وعِرقٍ وطبقة، بل تُنال من خلال إقرار مباديء التكافؤ والمساواة والفضيلة الإنسانية، ونبذ أي فوارق تُبعثر الإنسانية سواء في خلقتها أو في تعاونها وتكاملها، كون أنَّ أي فوارق تُوضع بين أفراد وجماعات الإنسانية أو تقف حجر عثرة أمام تعارفها لا تُنتج سوى تأزّم واحتقان وتضارب الإنسانية ككل، وهو خلاف غاية الخلق ومهام الاستخلاف الإلهي لهذا الكائن المطلوب استعماره في الأرض {هُوَ أنشَأَكُم مِّنَ الأرضِ واستَعمَرَكُم فيهَا} هُود/61.

لذا، فإنَّ التعارف الإنساني هو ذاته الانفتاح المطلوب إقراره بين الجماعات والشعوب والأُمم الإنسانية، وهو يتعدد بتعدد موارد ودوائر وتطبيقات التعارف، وعلى رأسها الانفتاح الثقافي كونه يهب القدرة على فهم الآخر، وتحري فرص التأثير والتأثّر المشترك وصولاً لإقرار تجارب الخير والعدل والمساواة بين الشعوب الإنسانية.

الفرع الاول: الانغلاق الثقافي:

إن المجتمعات التي تزداد هروباً إلى الأوهام والخرافات والأساطير والماضي الثقافي والمعتقدات الدينية الغيبية واليقينية والتعصبية، تزداد انغلاقاً وتحجراً وتزمتاً وتهوى العيش دائماً في تلك الدوائر الضيقة، وربما تستأنس باجترار الأوهام والغرق في معتقداتها الدينية الوراثية لتحصّن كياناتها من مؤثرات وتأثيرات التموجات الثقافية الحديثة التي تعصف بالعالم من كل مكان(كرم، 2007) .

ويتم تأسيس الانتماء الاجتماعي للفرد في المجتمعات المنغلقة والمقاومة للانفتاح وفقاً لتبني المطلق والنهائي لموروثات المجتمع الثقافية والدينية، ويرى الفرد أنه من الضروري أن يتم تبني تلك الموروثات بصورة يقينية وتعصبية ومطلقة للمحافظة على خصوصية المجتمع الثقافية، في حين أن الانفتاح والتجديد قد يكونان تدعيماً أو تقويماً للخصوصية الثقافية لأي مجتمع كان وليس تعدياً عليها، ولكن هذه حجة المجتمعات التي تتوجس دائماً من الانفتاح والتغيير حينما تكون

صفة الطرف الآخر الحداثة والتطور والجرأة الواعية في تجاوز السائد والمعتاد، لأن في هذه الحالة تكون الخصوصية الثقافية للمجتمعات المغلقة من الهشاشة والرخاوة بحيث لا تستطيع التعايش مع الجديد والغريب والمختلف، أو لأنها مُصابة بالجمود والتكلس والتصلب في شرايينها الداخلية(كرم، 2007).

ينادي المتدينون بسياسية الانغلاق الثقافي على أساس الحفاظ على الأصالة ونفي تأثيرات الغزو الثقافي، وما قد يُنتجه من مسخ أو إقصاء لمنظومات هويتنا الثقافية الاسلامية ، وهي دعوى إضافة إلى استحالة تحقيقها العملي جرّاء التداخل الإنساني, بسبب ثورات الاتصال والاعلام الفضائي الكوني مما يجعل العزلة أمراً مستحيلاً، وأيضاً لغفلتهم عن أنَّ الانعزال يقضي على إمكانية خلق حركية الاستجابة على ضوء أرضية التحدي الذي تجود به عمليات الانفتاح والتفاعل الثقافي، حيث لا يمكن تحقيق التفعيل والتطوير دون وعي الآخر وإدراك فاعلية وأسباب نهضته وشروط تقدمه، وهي أمور لا يمكنها التحقق من خلال إيثار العزلة والانغلاق الثقافي .

الفرع الثاني: اثر الانغلاق على المجتمع:

المجتمعات التي تزداد هروباً إلى الأوهام والخرافات والأساطير الثقافية والمعتقدات الدينية الغيبية واليقينية والتعصبية، تزداد انغلاقاً وتحجراً وتزمتاً وتهوى العيش دائماً في تلك الدوائر الضيقة، وربما تستأنس باجترار الأوهام والغرق في معتقداتها الدينية الوراثية لتحصّن كياناتها من مؤثرات وتأثيرات التموجات الثقافية التي تعصف بالعالم من كل مكان والمجتمعات المنغلقة غالبا مجتمعات متخلفة ومتشرذمة وفاقدة للحس الانفتاحي، وذلك لوجود نزعات عدة ثقافية وشعورية ومسلكية تتحكم فيها، تزيد من انغلاقها وتشرذمها وتخلفها، وتحيلها إلى كيانات متصارعة متنافرة، وتغلق عليها منافذ الانفتاح ورحابة التعددية وجمالية التسامح، التي تزيح عنها نزعة التعصب الطائفي التي عادةً ما تستفحل وتنتشر في المجتمعات ذات المرجعيات الدينية المختلفة وتتغذى على الموروثات الدينية المهيمنة والمتسلطة.

وكل ما وجدتَ مجتمعاً يعاني من التشرذم والانقسام والتقاتل المذهبي، فاعلم أنه مجتمع تعربد فيه العصبيات الطائفية الدينية، ويتخذها أداةً للصراع على المكاسب السياسية وغيرها، ويتخذها أيضاً مرجعية شرعية لا ثبات كل طرف أحقيته الكاملة في احتكار الحقيقة المطلقة، وعليهِ يبقى هذا المجتمع الذي تتحكم فيه النزعة الطائفية منشغلاً فيما بينه على مدار الوقت بتعميق الانقسامات والتقسيمات المذهبية، من دون أن تمتلك الكيانات الطائفية فيه أدنى درجات

القدرة الذاتية على تجاوز هذه النزعة التدميرية المترسبة فيها، وما حكاية المؤتمرات التي تعقد هنا، وهناك من أجل التقريب بين المذاهب سوى واجهات إعلامية استعراضية لتبادل الابتسامات الخادعة فيما بينهم أمام الكاميرات(العادلي، 2005).

أما النزعة الأخرى التي تتحكم في المجتمعات المنغلقة وتزيدها انغلاقاً وتخلفاً وتوصد في وجهها أبواب الانفتاح، فهي نزعة الارتداد للهوية الضيقة، سواء أكانت هوية دينية أم قومية، والتعصب الأعمى لها والدوران فيها والتمحور حولها والتلذذ باستحضار أدبياتها، فمن شأنها أن تجعل المجتمع، أي مجتمع يضيق برحابة العالم من حوله ، ليبقى مشحوناً بترددات التوجس من الجديد والغريب والمختلف، لأنه مجتمع يؤمن بالفكر والطرح الأحادي ويعتقد بأن الانفتاح يستهدف هويته القومية والدينية، وتنشأ مع هذه النزعة نزعة إقصاء المختلف ونزعة التعصب للموروثات التراثية ونزعة التقديس الملطق للرموز التاريخية والتراثية، وهكذا مجتمع منغلق يجاهد ويفاخر معتقداً بنقاء هويته الدينية والقومية الضيقة ، تصبح مسألة القبول بالتعددية الثقافية ضرباً من الوهم .

الفرع الثالث: الأمة العربية والخيار الثقافي:

الثقافة العربية أمام خيارات مصيرية ستُحدد مستقبلها المنظور دونما ريب، وبالذات بعد خروجها من ركام الكارثة التي أودت بحياة العديد من مرتكزاتنا الثقافية بفعل قسوة التجهيل والعسكرة والحروب والمحن، إنَّ تدويل قضايانا الوطنية، إضافة للتداخلات والاختراقات والمصالح المعقدة التي اثقلت وستُثقل كاهل برامجنا الوطنية في اتجاهاتها كافة، وما تعانيه منظوماتنا الثقافية من تخلخل في البُنية واضطراب في الاتجاه بفعل ثقل الأزمة وإرهاصاتها وتبعاتها، يجعل من تحديد الخيارات الثقافية من أهم وأخطر عوامل نهوضنا المنبعث أو انتكاستنا المجددة، من هنا فإنَّ تحديد الخيار الثقافي هو تحديد بُنيوي مصيري في ذاته، إذ سيتم على ضوئه نحت بناءات الإنسان والمجتمع والدولة العربية الحديثة، وهنا فالخيار الثقافي يعني في عمقه خيار الهوية والانتماء والوطن والتاريخ، فوفق هدّيه ومعالمه سيتحدد خيار الوحدة أو التشظي، الأصالة أو الاستلاب، الانغلاق أو الانفتاح، التقدم أو التخلّف، الفاعلية التاريخية أو الاندحار الحضاري(كرم، 2007) .

فالمُتتبع لطبيعة الخيارات الثقافية المطروحة منها ما هو ليبرالي أو قومي أو إسلامي أو ماركسي، إضافة للثقل التقليدي للمنظومات الثقافية العِرقية والطائفية والمناطقية، قد يُصاب بالهلع

جرّاء التقابل الحاد بين هذه الخيارات الثقافية التي تتناول في العمق قضايا الانتماء والهوية والتاريخ والمستقبل لكونها خيارات أُحادية البُعد مؤسَّسة على الانغلاق إلى حد التصادم ولو على الصعيد النظري، وهنا تكمن الخطورة، إذ لم تنجح هذه المدارس بعد في التأسيس البرامجي لقواعد التعايش والتكامل المتبادل استناداً إلى أرضية اشتراك الكُل في الوعاء الثقافي الوطني الجامع .

إنَّ من واجبنا الاتفاق على تحديد الخيار الثقافي لأُمتنا العربية وهي تنهض مجدداً لبناء ذاتها وإنجاز أدوارها على الأرض، وما لم ننجح في إعادة قراءة وتمثّل الذوات الثقافية الخاصة بكل مدرسة بُغية إعادة تركيبها وفق دراسات واقعية تدرك تغيرات وضرورات الكيان والتجربة العربية الجديدة، ثم الانطلاق في التحديد والتشخيص والتنمية لخيارٍ ثقافي نوعي يمثّل أُمتنا العربية بكل مدارسها الثقافية، ما لم ننجح في اعتماد هذا الخيار الثقافي الوطني الجامع فلن نتمكن من إدراك التحوّلات الجوهرية في مسيرتنا الوطنية الجديدة .

إنَّ الخيار الثقافي القائم على منظومات الأصالة والحداثة والتنمية الشاملة، وضمن الحاضنة الوطنية المتشبّعة بقيم الخصوصية والثوابت والمصالح العربية، والمنحازة لمناهج الانفتاح والتعايش والتسامح والفاعلية الحضارية الدائمة، والنافي للتطرف والعنصرية والسلبية والاجترار والانكفاء, هو الخيار الثقافي الذي يجب ان نتبناه كفاعل جوهري للتجربة المؤمّلة.

وعادةً ما يتم تأسيس الانتماء الاجتماعي للفرد في المجتمعات المنغلقة وفقاً لتبنيه المطلق والنهائي لموروثات مجتمعه الثقافية والدينية، ومن الضروري أن يتم تبني تلك الموروثات بصورة يقينية وتعصبية ومطلقة للمحافظة على خصوصية المجتمع الثقافية، في حين أن الانفتاح والتجديد قد يكونان تدعيماً أو تقويماً للخصوصية الثقافية لأي مجتمع كان وليس تعدياً عليها، لأن الخصوصية الثقافية للمجتمعات الانغلاقية من الهشاشة والرخاوة بحيث لا تستطيع التعايش مع الجديد والغريب والمختلف، أو لأنها مُصابة بالجمود والتكلس والتصلب في شرايينها الداخلية.

المبحث الثالث: العولمة الثقافية

قد لا ينازع أحد في كون علاقة العولمة بالثقافة هي من أعقد وأخطر أشكال العلاقة بين هذا التيار الكاسح وبين باقي المجالات الأخرى، سياسية واقتصادية وغيرها، فهذا لا يقلل من أهمية العامل الثقافي لا في الآجل ولا في العاجل وذلك لاعتبارات شتى نجملها في عنصرين اثنين:

الأول: يتجلى في كون الاقتصاد والسياسة والإعلام، أمور لا تخلو من أن تتأطر بإطار ثقافي يحدد منطلقاتها ومبادئها, وأهدافها ، وغاياتها ، وأيضا وسائل وآليات عملها، ولهذا اعتبر كثير من النقاد العولمة ولو في شكلها الأول المذكور "ثقافة" ضد الثقافات الأخرى الموجهة لنفس العناصر لدى شعوب أخرى، "ثقافة" تحمل قيم الاستبداد والاستفراد، وبتعبير الاستاذ إريك فروم تلبي "نزعة التملك" ضد ثقافات تحمل – ولو بدرجات مختلفة– قيم التعددية والتعايش أو بتعبير نفس الناقد تلبي "نزعة الكينونة".

تبقى الثقافة إذن باعتبارها تجمع المعرفة والعلم والفكر, هي البعد الحيوي المؤطر والموجه لكل مجالات الحياة، هي المصنع أو المختبر الذي فيه وبه تتم صناعة وتحليل الاختيارات الاستراتيجية الأساسية لتوجه ما .

الثاني: إذا صح من خلال العنصر الأول أن نسمي نوع الثقافة الموجهة ب "الثقافة الكامنة" حيث لا تتكشف بذاتها بقدر ما تتكشف من خلال مظاهر وتجليات متعددة، فإننا يمكن أن نسمي هذا النوع من الثقافة ب "الثقافة الظاهرة" التي تملك أن تتكشف وتتجلى بذاتها، وهذا النوع الخطر من التشكيل والصياغة الثقافية، هو أحد أهداف وغايات العولمة الساعية نحو التنميط والأحادية المركزية ونهاية أشكال التعدد والمغايرة الثقافية (الحارثي ، 2005).

إن الأمر هنا يتعلق بإخراج شكل ونمط ثقافي جديد وحيد ومهيمن يتحدد فيه مركز ثابت دائم وأطراف وهوامش، يقدم تفسيراته لكل الظواهر الإنسانية والكونية، وينفي ويستبعد كل تفسير مغاير, وعلى الرغم من كون "الثقافة الامبريالية" –بتعبير ادوارد سعيد– ذات الجذور الفلسفية العلمانية في طبعتها الانجلو أمريكية بالخصوص موجودة سلفا، فإن عامل تدويلها وإعطائها نفسا عالميا، هو الذي يضفي عليها طابع الجدة ويمنحها قدرة إضافية خارقة على النفاذ والتأثير

السؤال ما دور الثقافات الأخرى أي الخصوصيات المحلية المغايرة أصولا أو فروعا ؟، وكيف يمكنها مقاومة هذا الطوفان الهادر كما ونوعا من المفاهيم والأفكار والسلوكيات ؟.. صحيح أن الغرب الأنجلو أمريكي صور في نفسه صورة حالمة حول نمط الحياة المستقبلي ، لكن هذا الحلم لا يلغي حقيقتين واقعيتين: الأولى أنه جاد في تحقيقه كما تقدم بتسخير كل مقدراته وإمكاناته. والثانية واقع الضعف والانهيار والتبعية.. لدى الشعوب الأخرى، بما في ذلك ضعف وانهيار الحصن الثقافي المخصص للوقاية والدفاع, ولا يخفى أن المفاهيم والأفكار والمبادئ.. إنما تستمد

قوتها وفاعليتها من قوة وفاعلية الجهة المنتجة لها ، وهكذا نجد البلدان القوية تستطيع ليس فقط الدفاع عن هذه الثقافات ، وإنما أيضا إلغاء الآخر وثقافته باختراقه واستتباعه.

المطلب الاول: الثقافة بين الوحدة والتعدد في ظل نظام العولمة:

يعرف مالك بن نبي الثقافة انها "أسلوب الحياة في مجتمع معين، تخص السلوك الجماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع"(بن نبي،ترجمة شاهين،(د–ت)، ص13)، بل هي "حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا فداخل مجتمع متحرك تتم "عملية تركيب ثقافته بصورة تلقائية تنحصر في تنظيم المقومات الثقافية في وحدة متجانسة تمثل ثقافته"، "فأساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص، وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية، وإذا فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة" (بن نبي،ترجمة شاهين،(د–ت)، ص50)، ثم إن "الفرد المنعزل لا يمكن أن يستقبل الثقافة ولا أن يرسل إشعاعها" و"الأفكار والأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية إلا إذا تألفت أجزاؤها فأصبحت تركيبا فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبدا.

إن الثقافة– حسب ابن نبي دائما– "نظرية في السلوك أكثر مما هي نظرية في المعرفة" وبهذا تكون الثقافة أعم من التعليم نفسه وأعم من المعرفة والأفكار وأوثق صلة بالشخص، فهي عموما "مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.... هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته وعند محمد عابد الجابري، أن الثقافة هي "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، إن الثقافة هي المترجم الأصيل للخصوصية التاريخية لأمة من الأمم ونظرتها إلى الكون والحياة والموت والإنسان، ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل ويأمل ومالا ينبغي أن يأمل(بن نبي،ترجمة شاهين،(د–ت)، ص74).

وعند برهان غليون "لكل ثقافة خاصيتها كما لكل مؤسسة روحها، أي نظام عملها وردود أفعالها وتوجهاتها التي تكون لديها ما يمكن أن نسميه المناعة الذاتية ضد كل نوع من أنواع التغيير الخطيرة التي تهدد انسجامها الداخلي وقيامها بوظائفها، والواقع أن الثقافة الحية لا تقبل بضم خبرات جديدة إلى مخزونها المعرفي أو الخيالي، إلا إذا لم تكن هذه الخبرات تتعارض مع

خبرات سابقة وراسخة تضمن توازناتها الكبرى، وبما أن الثقافة تأليف وتركيب ودمج لعناصر ومكونات تصوغ في النهاية الفلسفة الأخلاقية لأية جماعة، فإنها قابلة لأن تتنوع وتتعدد، كما انها قابلة أيضا لأن تنفعل وتتأثر وتتفكك "فالهوية الثقافية كيان – يتطور– وليس معطى جاهزا ونهائيا، تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما، أما على المستوى الكوني "فليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة.

إن الغرب لا يهيمن ويستعبد في عولمته بالقوة والضغط والتفوق، وحسب، ولكن أيضا وبقدر كبير يقوم بتصدير الأزمات والأوبئة وأشكال الميوعة والانحلال التي تطال الإنسان والحيوان والجماد .

الفرع الاول: الثقافة بين الإيجابية والسلبية أمام تحديات العولمة:

تشكل وتصوغ الثقافة عمق المجتمع والإنسان وتغذيه وتزوده في الوقت ذاته بكل القيم والمبادئ والمعاني والرموز، الدينية والتاريخية والعرفية، مما يشكل إطار خصوصيته وتميزه ويعكس هويته، وتفتح أمامه آفاقا للتواصل والتفاعل مع مكونات ثقافية مختلفة ومغايرة لا يملك إتجاهها إلا أن يكون أداؤه سلبيا منفعلا متلقيا أو إيجابيا فاعلا مساهما، وهذا التفاعل عبر عنه القرآن الكريم بصيغ مختلفة: "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض" [سورة البقرة/الآية:249]، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" [سورة الحجرات/الآية:13]، "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم" [سورة آل عمران/الآية:63]، "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" [سورة العنكبوت/الآية:46]، "اَدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" [سورة النحل/الآية:125]، "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" [سورة البقرة/الآية:20].

إنه التدافع والتعارف والحوار بين الناس والمقربين منهم، أهل الكتاب، القائم على أسس مرجعية ومنهجية لا تعدم أية ثقافة متى كانت إنسانية أو ربانية تحترم الآخر، وقد قدمت الحضارة الإسلامية أرقى نموذج له في عالميتها الأولى، إذ جعلت من أقطارها المفتوحة مهما نأت مراكز وأقطاب فاق بعضها في إنجازه العلمي والحضاري مراكز الخلافة ذاتها. فليس التحصن دائما انكفاء على الذات وانطواء عليها وإمعانا في الانعزال والتفرد، بل يكون، وبدرجة أقوى، بالتعرف

على الآخر ومدافعته والإسهام في العطاء الحضاري العام والمشترك الإنساني انطلاقا من تلك الخصوصية.

ولهذا فالمتأثرون بأنماط التحديث الغربي، بما في ذلك النخب ذات المصالح والامتيازات والتي تمارس التجهيل والتزييف على بلدانها وشعوبها، لا يدركون أن تلك الأنماط لا يمكن أن تجعل منهم في النهاية إلا مقلدا ممتازا وتابعا من الدرجة الأولى أو الثانية، مسلوب الإرادة مشلول القرار عاجزا عن الحسم في أخص أموره، وحتى إن أدرك، فإنه لا يملك من أمر نفسه شيئا بعد أن رهن نفسه لرمز استعباده وقهره وجعله نموذجا له يحذو حذوه في الصغيرة والكبيرة، إلى أن يحدث في نفسه انقلابا جذريا أو ثورة شاملة تنقله من حال إلى حال.

كيف يمكن إذن أن تتم عملية النقل الثقافي بمنهج التعارف والتدافع والتحاور، في ظل وضع محكوم بمنطق الاستعلاء والاستفراد والهيمنة لثقافات ضد أخرى؟، علما بأن العملية بحد ذاتها مطلوبة وضرورية خاصة بالنسبة للثقافات ذات النزوع العالمي كثقافتنا الإسلامية التي تعتبر العالمية إحدى فروضها الدينية والدعوية والحضارية(كرم ، 2007).

فما تقدمه الساحة الفكرية في معالجة هذا الإشكال من خلال تسليط مزيد من الضوء على عملية الانسياب الثقافي والآليات التي تحكمها، أو تلك التي ينبغي أن تحكمها، أن الانسياب الثقافي تستخدم "للدلالة على تفاعل إيجابي عند الاحتكاك بين الثقافات، وعندما تدخل ثقافتان في اتصال، فإذا كانت السمات الثقافية التي يجري تبادلها تتوازن وتحافظ كل منهما على هويتها وديناميتها الخاصتين بعد إدماج واستيعاب العناصر الأجنبية، يمكن الحديث عن تلاقح ثقافي ناجح، وعندما لا يتجسد الاتصال في تبادل متوازن، بل في تدفق في اتجاه واحد مصمت، تغدو الثقافة المتلقية مغزوة ومهددة في وجودها ذاته، ويمكن اعتبارها ضحية عدوان حقيقي، وإذا كان العدوان فوق ذلك ماديا فهذا هو الزوال لا أقل ولا أكثر، أو الإبادة الجماعية، أما إذا كان العدوان رمزيا، فإن الإبادة الجماعية تغدو ثقافية وحسب، أي إبادة أثنية، إن الإبادة الأثنية هي أعلى مراحل محو الثقافة(لاتوش، ترجمة كلفت، 2006، ص47).

وهكذا نجد أنفسنا – كما يقول مالك بن بني– من أول خطوة في طريقنا أمام اختيار رئيسي، فإما أن نعرف الثقافة طريقا للإمبراطورية، وإما أن نعرفها طريقا إلى الحضارة، **وبعبارة أخرى**، يواجه المجتمع مشكلاته بلغة القوة أو بلغة البقاء بقدر ما تصوغ ثقافته أسلوب حياته وسلوك الأفراد فيه، فنوع الثقافة إذن يتحدد في كل شعب تبعا لحتمية منبعثه من نفسيته

من الأمور المسلمة أنه ليس بمقدور العولمة أن تخلق نظاما ثقافيا أو نسقا معرفيا واحدا تخضع له أو تدين به جميع الشعوب، فالهويات الثقافية للشعوب هي أمنع الحصون والقلاع على الاختراق والذوبان الكلي، وإن كان التأثير عليها وتشويه وطمس بعض عناصرها أمرا واردا. يمكن للعولمة أن تخلق نظاما اقتصاديا أو إعلاميا أو سياسيا، "واحدا"، وهي كذلك تفعل، لكن لا يمكنها أن تخلق "الإنسان النموذج الأخير"، فهذه مهمة أكبر من العولمة وأربابها، لأنها تصادم سنة الاختلاف الكونية في الحياة البشرية، الاختلاف الذي يعكس: الحرية، الإرادة، والمعنى، وغير ذلك من المبادئ والقيم غير القابلة للتنميط، وإن مشكلة العولمة الآن – كما عبر عن ذلك محمد الكتاني، في كونها "لا تحمل أي هوية ثقافية، ومن ثم فهي لا تنطوي على عقيدة أو فلسفة أخلاقية، أو أي بدائل توازي أو تتقابل مع هويتنا الثقافية، بل على العكس من ذلك تهمش كل ثقافة ذات طابع إنساني أو أخلاقي.

وهذا ما يجعل من مواجهتنا للعولمة مواجهة معقدة بحيث لا نقف معها على أرض مشتركة لأنها تنفي ما نثبته وتتبث ما ننفيه وانعدام الثوابت والمراجع في هذه العولمة، أو المراكز والمطلقات، هو الذي جعل ناقدا مثل عبد الوهاب المسيري ينعت حضارتها ب "الحضارة السائلة" أي التي لا تحتكم إلى شيء ثابت وقار، ولا تنضبط بعقل ولا منطق، بل تدور مع هوى المصلحة والربح والإنتاج والاستهلاك حيث دار، لا يهمها في ذلك أن تدوس عقائد وأخلاق وأعراف وثقافات الأمم والشعوب.

ومن خلال عرض سيرج لاتوش لأنواع ومظاهر العنف والإبادة التي تفرزها النظم الرأسمالية وسياسات التغريب، والتي يتم التستر عليها بتضخيم طقوس دينية أو عرفية تقليدية عند شعوب أخرى، كالحدود عند المسلمين، ومحارق الأرامل عند الهنود، وتقديم القرابين عند قبائل الأزتيك، أو أكل اللحوم البشرية عند هنود التوبينامبا.. يقول منتقدا "قبل أن نحلم بعالمية حقيقية يجدر بنا التساؤل حول بربرية حضارتنا، بل حتى تعصبها في أعين الآخرين، وهناك كثير من سمات أخلاقنا تبدو مرعبة وشائهه في أعين المجتمعات غير الغربية(لاتوش، ترجمة كلفت، 2006، ص64).

وعلى كل حال، ومهما كان الوضع، نقول مع برهان غليون: "تبقى الثقافة، لأنها تشكل الدائرة الأكثر ليونة في النسق الاجتماعي، أكثر قطاع مقاومة لسيطرة السلطة، وهي لهذا السبب الأداة الأكثر ضمانا لاستمرار الأمة، هكذا فإن الشعوب التي حطم الاستعمار دولها، والتي دمرت اقتصاديا أو استبدلت باقتصاديات رأسمالية مختلفة أو حتى متعارضة مع اقتصادياتها، التجأت

إلى الثقافة واستطاعت بعد عشرات السنين أن تؤسس من جديد دولة جديدة وأن تباشر بتنظيم جديد للاقتصاد، فالحفاظ على المقومات الخاصة بتقويتها عن طريق الفهم المتجدد لها وتفعيلها لتعمل في واقع الحياة، وفي الوقت نفسه تنمية قدراتها الانفتاحية وإمكاناتها الاستيعابية، كل ذلك كفيل بأن يؤهل هذه الثقافة في ذات الوقت، لأن تصمد في وجه الإعصار وأن تساهم فيه بما تمتلك.

الفرع الثاني: الثقافة في الفكر العربي المعاصر

يتطلب العودة إلى إعادة بناء كثير من المفاهيم المؤطره لهذا الفكر وخاصة تلك التي تمتلك قدرة على التوجيه والتأثير، إما بحكم وظيفتها الأصلية، أو بحكم ما أعطاها الاستعمال والتداول قديما، إعادة بناء شاملة تطال الجانب التصوري المرجعي لهذا الفكر، والجانب الآلي المنهجي فيه، من هذا المنطلق ينقسم المفكرون العرب إلى ثلاثة اتجاهات: "اتجاه الانبهار بالغرب الثقافي والتماهي معه" و"اتجاه الرافضين له للغرب والمستنفرين ضده"، أما الاتجاه الثالث حسب أحد المعبرين عنه بوضوح عبد الإله بلقزيز، فهو "تيار التواصل الثقافي النقدي"، والذي يؤمن "بكونية المعرفية ومقولات العقل ومنظومة المفاهيم التي تنهض عليها فكرة الحداثة" وهو "الأكثر توازنا في الوعي العربي المعاصر، وعلى صعيد إدراكي للغرب والثقافة الغربية بالذات. وتميز هذا التيار –في تحركه على أرضية من التمثل للثقافة الغربية صلبة: فهو يبدي سائرا أنواع الانفتاح عليها دون تردد، لكنه يحفظ لنفسه –في الوقت ذاته– حق مساءلتها وإخضاعها للنظر النقدي لعيار درجة مطابقتها للحاجات الاجتماعية والفكرية للمجتمع العربي، يقوم منطق هذا التيار بالحاجة إلى تمثل فكرة "الآخر" ونقده في الآن نفسه (شنبارو، 2010).

للأسف لقد تأسست في تاريخنا الفكري أشكال من التقابلات الوهمية والزائفة غدتها مؤثرات خارجية قديما وحديثا، وتأسست بذلك عوامل من الفرقة والتجزئة "المذهبية" في مدارس واتجاهات قائمة بذاتها، تنتمي إلى أحد طرفي المعادلة، المعادلة التي ابتدأت ب "أهل الرأي وأهل الأثر" و"العقل والنقل" و"الحكمة والشريعة"، وتبلورت إلى "العلم والدين" و"الدين والدولة" و"التراث والتجديد" و"الأصالة والمعاصرة" و "الحداثة والتقليد".

إن مناهج التاريخ والدراسة لهذا الفكر بمذاهبه الفقهية والعقائدية وتياراته الفكرية والفلسفية، لم تعمل على إحياء وإنضاج "ثقافة الوحدة" المؤطره للخلاف والمستوعبة له بقدر ما أرخت "للفرق بين الفرق" و"الملل والنحل" وتعمقت في أسباب الخلاف تأصيلا وتفريعا .

إن القرآن الكريم– وهو نص قد أعلى من شأن العقل بما هو فعل وإنجاز أيما إعلاء، واناط به مهمة الاستخلاف والتكليف والتعمير، وأمر بارتياد العالم المشهود آفاقا وأنفسا، وحض على العلم وطلبه، وجعل من عالمية رسالته ودعوته فضاء لتعارف وتحاور الحضارات والثقافات، حيث أثمر كل ذلك معرفة اندمج فيها العقل بالنقل والعلم بالدين والأصيل بالمعاصر، معرفة استوعبت معارف وثقافات الشعوب المفتوحة على اختلاف تشكلاتها إمكانات هائلة فعلا للتثاقف يتيحها هذا الدين بكونية رسالته تتجاوز كل دعوات الانفتاح الجزئية والمبتورة التي غالبا ما تنتهي إلى تبعية واستلاب، يبقى أن تغييرا جذريا ومراجعة عميقة لكثير من المفاهيم والتصورات السائدة "أصيلة" كانت أم دخيلة، التي فرقت أكثر مما وحدت وباعدت أكثر مما قربت، بإعادة بنائها على أصول الشرع في انفتاحها واستلهام الخبرات والتجارب التاريخية التي كانت إحدى تجلياتها الإيجابية، أمر وحده كفيل بوضع الأمة في مسارها الصحيح، ومفهوم التواصل غير شاذ عن هذا الاطراد، لكن قبله نقول لدعاته بضرورة إعادة بناء الثقافة التي تنتمي إلى الذات على أصول الذات لتتحقق بشرط الذاتية كاملا، إذ كلما كان هذا الشرط كاملا كلما كان التواصل الثقافي مثمرا وغير مخيف، والإخلال بشرط من شروط الذات، أو أصل من أصولها هو فقدان لروافد ودعائم الأصل فيها أن تسند هذه الثقافة في تدافعها مع الثقافات الأخرى، فتضعف –بدونها– إذاك حظوظ النجاح والإيجابية فيها، فكيف إذا كان الإخلال جزءا أو كلا، بأصل الأصول وشرط الشروط، الوحي المؤسس والملهم، منبع القوة والاستمرار ؟

حرصت القوى المهيمنة على نشر ثقافة العولمة الفكرية والفلسفية والتي تمُثل في جوهرها النموذج الثقافي الفكري والفلسفي الغربي الأمريكي بجميع خصوصياته، النموذج الذي ارتضاه الغرب لنفسه وفرضه على غيره – من خلال عولمة المناهج التربوية – عن طريق العولمة التي تجلّت فيه تربويا وثقافيا وفكريا وفلسفيا .

كان للوضع الثقافي في جو العولمة أثره البارز على ثقافات الشعوب في الأطراف، التي تعرّضت وحدتُها للتصدع والتشقق، وطرحت لديها إشكالية العولمة والخصوصية الثقافية، وإشكالية العولمة والوحدة الثقافية والفكرية والدينية، وإشكالية العولمة وتاريخ الثقافة وماضيها وحاضرها ومستقبلها، مما يعني أنّ العولمة نابعة من الشعور بالعظمة وصادرة عن إرادة الهيمنة، في المجال الثقافة وكان لإشكالية الخصوصية الثقافية والعولمة وقعها الكبير على الثقافة والفكر والمعتقدات الدينية في العالم أجمع وفي العالم العربي والإسلامي الحديث والمعاصر بصفة خاصة.

خاصة وهو العالم الأكثر استهدافا من قبل العولمة لأسباب تاريخية وعقدية وجيوسياسية واستراتيجية، وإعادة تشكيلها وفق ما تتطلبه ثقافة العولمة وسائر مصالح المركز، والصراعات السياسية في بلدان العالم العربي والإسلامي بين أنظمة الحكم والمعارضة بمختلف انتماءاتها هي في منطلقاتها وفي جوهرها صراعات ثقافية وفكرية وإيديولوجية تحرص العولمة على خلقها وإذكاءها لإيجاد التفرقة والقضاء على الوحدة الثقافية والفكرية والعقدية، والمركز يعي جيدا دور الوحدة الثقافية في تجميع القوة والنهوض بالتنمية والتطور والازدهار، حرص العولمة أن تجعل من الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي الحديث والمعاصر تيارات فكرية متصارعة، واتجاهات داخل التيارات متباينة، ومدارس فلسفية مختلفة تستمد شرعيتها من الموروث والوافد، التيار الإسلامي والتيار الليبرالي والتيار الاشتراكي والشيوعي، وكل تيار من هذه التيارات منقسم على نفسه، فالتيار الإسلامي فيه الاتجاه السلفي الأصولي المحافظ والاتجاه السلفي المعتدل والاتجاه السلفي الجهادي التكفيري وغيره بل نجد كل اتجاه هو الآخر منقسم على نفسه في مواقف تحددها أراء الأفراد والفئات، أما التيار الليبرالي القومي نجد فيه الاتجاه الليبرالي التغريبي والليبرالية التوفيقية، وهكذا مع التيارات القومية الاشتراكية والتيارات الشيوعية، وصار كل تيار يقدح في الآخر ويطعن في مبادئه وأفكاره، هذا يكفر ذاك وهذا يخوّن الآخر(كرم،2007).

أهم ما تميّزت به هذه الثقافة والفلسفة الحديثة هو ارتكازها على عدد من القيّم وهي قيّم مستمدة من الطبيعة البشرية ومما يعطي الأولوية القصوى للجانب الحياتي في الدنيا من اعتبار للقيّم الأخلاقية والدينية، مثل الاعتماد على العقل والعقلانية ونبذ كل ما لا يقبله العقل، واتخاذ الحرية والتحرر سبيلا في الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وإبعاد كل ما يعيق ويقيد أو يمنع سير الإنسان نحو التقدم والازدهار في شتى المجلات، تتحكم في تلك العلاقات، التقدم العلمي وحاجة الإنسان إلى التأثير في الطبيعة والسيطرة عليها وتسخير ظواهرها.

ارتبطت الخصوصية الثقافية في الغرب الأوربي الحديث بقيّم الحداثة والتحديث والليبرالية من عقلانية وحرية وتعددية وعلمنة وتقانة وعلمانية، وغيرها والتي تطورت واتسعت مجالات استعمالها، صارت تمثل النموذج الثقافي في المركز ومساره الذي يجب أن يُحتذى به في الأطراف، تضطلع بالمهمة عدة جهات مهتمة بالعولمة ومؤيدة لها في المركز وفي الأطراف عن طريق ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ثقافة العولمة أي تعميم ثقافة المركز لتشمل ثقافات الأطراف وتحتويها دونما اعتبار للتنوع الثقافي والفكري والديني، وعولمة الثقافة أي تحويل ثقافات الأطراف

من خصوصياتها الضيقة ونقلها إلى سعة ورحابة العالمية والانفتاح على ثقافة المركز والاندماج معها في جو من الانسجام والتوافق.

وفي الحالين معاً سواء عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة فإنّ النتيجة واحدة ومحسومة، هي أنّ ثقافات الأطراف الأجزاء تُصبح محتواه في ثقافة المركز الكل، ليس على سبيل التفاعل الثقافي الندّي، وإنّما على سبيل إعادة تشكيل ثقافة المركز لثقافات الأطراف حسب ما تقتضيه الحاجات والمصالح المختلفة للمركز، ودون مراعاة حاجات ومصالح الأطراف.

يحرص جو ثقافة العولمة وعولمة الثقافة حريص كل الحرص على صهر ثقافات الأطراف في ثقافة المركز، وكان له تأثير ملموس في هذه الثقافات وفي أهلها، فأصبح للثقافة الغربية مروّجون في الأطراف، مما أدّى إلى الاختلاف بين دعاة العولمة ومعارضيها، وكثيرا ما تحوّل الاختلاف إلى نزاعات وصراعات مسلحة، والحقيقة أنّ الكثير من النزاعات والصراعات الدموية وغير الدموية هي نتيجة صراع بين أنظمة سياسية وثقافية دخيلة ليبرالية وغيرها من جهة وبين تيارات وتنظيمات محلية ذات انتماءات ثقافية ودينية وتاريخية موروثة، وكثيرا ما لعبت العولمة الثقافية والسياسية دورا في تمزيق وحدة الهوية ووحدة الخطاب الديني وحدة الخطاب القومي ووحدة الخطاب الوطني السياسي(العادلي، 2005).

تحرص العولمة على نشر ثقافة التفسخ والانحلال الأخلاقي وثقافة الشهوة والمتعة وإذاعة أنشطة الترفيه واللهو واللعب والتسلية التي فيها مضيعة للوقت وهدر للجهد من دون فائدة تُذكر، ثقافة تزرع الفساد والتعفن والمسخ الفكري الذي لا يأخذ في الاهتمام سوى الجانب الحيواني الشهواني في الإنسان، يعامله بطريقة آلية في الفكر والممارسة بأتمتة صماء وبعقلانية مفرطة وبحرية مشبوهة وبعلمانية غير متوازنة، ويسحب منه كل ما من شأنه يوفر له التوازن والتوافق بين ماديته وروحانيته من قيّم عليا دينية وأخلاقية وإنسانية، وتحرص وسائل الإعلام والاتصال على غرس قيّم العولمة الثقافية في الأطراف من خلال ما تبثه من أنشطة وبرامج تطبق فيها مناهج تربوية وتعليمية باسم التجديد والتطور في حقل التربية والتعليم والتكوين، تستهدف من وراءها تربية وتكوين الأجيال على قيّم النموذج الثقافي الغربي والأمريكي.

وهو مطلب وطموح المنظمات العالمية الفكرية والثقافية والعلمية مثل منظمة اليونسكو، وهي منظمات تعمل تحت إشراف وتوجيه المركز، وتشرف على وسائل الإعلام والاتصال التي تسعى للنيل من ثقافات الأطراف ومن خصوصياتها، خاصة ممن يُعارض العولمة الثقافية

ويتمسك بعناصر هويته الثقافية جهات من المركز حريصة على تغليب نموذج ثقافة العولمة في التربية والتعليم والتكوين والتثقيف والمثاقفة والترفيه والتسلية وغيرها.

ونجد أنّ "باسم المثاقفة يتم انحسار الهويات الثقافية الخاصة في الثقافة المركزية مع أنّ اللفظ سلبي ويعني القضاء على ثقافة لصالح أخرى، ابتلاع ثقافة الأطراف داخل ثقافة المركز، وتخفف بعض المصطلحات الأخرى من مستوى عدم الندية بين الثقافات فتبرز مفاهيم التفاعل الثقافي، التداخل الحضاري، حوار الحضارات، التبادل الثقافي، وهي مفاهيم تنتهي إلى أنّ ثقافة المركز هي الثقافة النمطية ممثلة في الثقافة العالمية والتي على كل ثقافة احتذاؤها، ويُستغل ضعف شعوب الأطراف فيتم تغيير النظم والمناهج التربوية، وتطوير الكتب المدرسية وغيرها في مؤسسات التربية والتعليم والتكوين عامة، مثل ما يحصل في جامع الأزهر بمصر وفي غيره استجابة لتحولات العصر وتماشيا مع التطورات الحاصلة في التربية والتعليم في بلدان المركز، واستجابة لآليات العولمة ومداخلها المتعددة مثل حاجة شعوب العالم إلى التسامح وإلى حوار والحضارات وإلى حوار الثقافات والأديان وتعايشها، الاستجابة وتمثل ما يترتب عنها كفيل بإفراز تداعيات خطيرة من شأنها أن تطمس الخصوصية الثقافية والسادة الوطنية والمعتقدات الدينية، وتؤيد وتؤبد الاحتلال والظلم الذي تتلقاه الشعوب العربية والإسلامية وغيرها في مختلف أقطار العالم وتنتهي أسطورة التعددية التي طالما قامت عليها حضارة المركز، وعبّر عنها وليم جيمس في "عالم متعدد" لصالح عالم أحادي الطرف.

ثقافة تبدع وثقافات تستهلك، ثقافة تصدر وثقافات تنقل، والوطن هو الضحية، ميدان لصراع القوى الكبرى بالمال والسلاح، وتضيع الخصوصية لصالح الصراعات المحلية والدولية، ويصمت الحوار الوطني، ويشق صف الوطن، فالمعركة إذن بين الخصوصية والعولمة ليست معركة بريئة حسنة النية أكاديمية علمية بل تمس حياة الأوطان ومصير الشعوب(شنبارو، 2010).

الخاتمة:

يعتبر موضوع التغيير الاجتماعي في المجتمعات العربية والاسلامية، جوهره عملية الانغلاق والانفتاح الثقافي داخل المجتمعات الاسلامية، والية الاهتمام والتعامل معها بما يتماشى مع منهج الدين الاسلامي حيث ان الاخير شريعة كافة المجتمعات الاسلامية ولتحقيق ذلك حسب رؤية الباحث لابد من أتباع مكونات ثقافة وقائية تنحصر في جملة من النقاط:-

1-أستقلال الفكر بمعنى عندما يفكر الانسان البالغ من منطلق لذاته ويمارس الانتقادات الذاتية، لا يكون تابعا لأية املاءات خارجية ولا ينساق وراء الراي العام المؤثر لثقافته.

2- وعي الانسان ضد أي نزعات من خلال الانفتاح العالمي وتطورات العولمة والتقنيات التواصل المؤثرة على الاجيال الحالية والقادمة.

3- الوقاية الاجتماعية وهنا مثلاَ المجتمع الليبي توجد لديه وقاية ذاتية ضد الغزو الثقافي الغربي المحارب للقيم الاسلامية.

4-الفكر العربي غير مجدي أي تحول الفكر القومي العربي لبعض الدول العربية لتبعية الغربية(مقلد لثقافة الغربية بشتى الانواع) فهذا التابع عنصر خطر داخل المجتمع العربي الاسلامي، بدل أن يكون عنصر مغير للإصلاح ضد الطائفية التي تولد العنف ثم تنتج الارهاب والنزعات، ومن هذا وذاك فرؤية الباحث الاقلاع عن الافكار القومية الملقحة بالثقافة الغربية، والتغيير الثقافي السلمي في أطار تحول ديمقراطي متدرج –لكسب وبناء الدولة الديمقراطية (أي ثقافة احترام الراي الاخر) الاهتمام التاريخ والذاكرة العربية الاسلامية وما تحوي الذاكرة، فكل نظام عربي إسلامي أو ثورة جديدة الوجوب بمحو ما سبقهما من ثقافات مقلدة، اخيراَ القول بأن ذاكرتناَ الاسلامية بكل ما تحمل هي ذاكرة أمجاد و وينبغي الاهتمام بها، والمجتمع العربي بحاجة الى أعادة قراءة تاريخه بمنهجية صحيحة ومقارنة جيدة من أجل التصدي لثقافة الغزو.

النتائج:

1- أثبت الدراسة ان الغرب يحاول طمس الثقافة العربية بكل ما تحمله، وذلك لاقتداه بالدين الاسلامي ومنهجها الشريعة الاسلامية.

2- من خلال البحث والدراسة تم التوصل الى أن الثقافة الغربية (الانجلوفونية) لا تحترم ثقافة الشعوب الاخرى وبالأخص الاسلامية.

3- افادة الدراسة أن التغير الثقافي في المجتمع العربي الاسلامي بكل ما تحمله، مضادة من قبل الثقافة الغربية المعادية المنهج الإسلامي.

4- أبانت الدراسة أن الغزو الثقافي الغربي يلعب دورا مهم لمحو كل الثقافات العربية، وما تحمله فهناك الكثير من النتائج بل نكتفي بأربعة استنتاجات.

التوصيات:

1 – يوصي الباحث بتوجيه كل الدراسين بالجامعات العربية والاسلامية، لتصدي لكافة الثقافات الغربية المؤثرة والمعادية للثقافة العربية الاسلامية.

2– توجيه أساتذة الجامعات العربية والاسلامية وبالأخص الليبية، لإجراء دراسات في هذه المواضيع لإثراء كل المكتبات العربية والدولية لذلك.

3 – العمل على إقامة ندوات محلية ودولية تهتم بهذه الدراسة بجدية تامة تتصدي لثقافة الغرب المدمرة للدين الاسلامي.

4 – نوصي بإعادة الاهتمام بالتاريخ العربي، وما يحمل من أرث ثقافي قديم فالأخير يعالج وينمي التاريخ الجديد.

5 – الاهتمام بالثقافة الوطنية لكل دولة على حدى، لما له من دور في توعية الأجيال الحالية والقادمة لثقافة الانغلاق والانفتاح الثقافي.

قائمة المراجع

1- حميد حمد السعدون. الغرب والاسلام والصراع الحضاري.- عمان: دار وائل للنشر، 2002

2- حسين درويش العادلي. "الثقافة العراقية بين خيارات الاستلاب او الانغلاق او الانفتاح".- صحيفة النبآء، ع 74، يناير 2005 .

3- محمود كرم. "الانفتاح صفة المجتمعات الخلاقة".-صحيفة شفاف الشرق الاوسط، 2007/6/2.

4 – مراد هوفمان. الاسلام في الالفية الثالثة ديانة في صعود؛ تعريب عادل المعلم .- القاهرة: مكتبة الشروق، 2001

5 – سعيد شنبارو." الثقافة والعولمة".- صحيفة ايلاف الالكترونية،30 /2010/6م.

6- يوسف الحسن. البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990

7- مهند الحارثي. "حوار الحضارات الاشكالية في الفكر والسلوك".- صحيفة الشرق الاوسط،2001/10/19.

8- مالك بن نبي. مشكلة الثقافة؛ ترجمة عبد الصبور شاهين.- ط4.- بيروت : دار الفكر ، (د-ت)

9- سيرج لاتوش. تغريب العالم ؛ ترجمة خليل كلفت.- ط2 .- (د-م) :(د-ن) ،2006.